مقتطفات من تفسير

القديس يوحنا ذهبي الفم

لرسالة كورنثوس الأولى



١٩٦٨



حضرة صاحب الغبطة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس
بابا وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

لم نجد من التفاسير الأرثوذكسية لرسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس ما وضع باللغة العربية ، ووجدنا أن من أفضل ما كتب في هذا الشأن مقالات للقديس يوحنا ذهبي الفم في كتاب « Nicene and Post Nicene Fathers » ، وقد إخترنا لك بعض أجزاء من تفسير الاصحاحات الأولى من هذه الرسالة وهي تتضمن مواضيع نفيسة ونافعة عن التوبة والدينونة والإيمان والأعمال ... وغيرها ، وقد أتينا بهذه المختارات من التفاسير ورتبناها ووضعنا لها العناوين المناسبة . كما أتينا بكلمة ترسم لنا صورة واضحة عن كتبت لهم الرسالة مع التعريف بكورنثوس القديمة وما كانت عليه من التقدم وطبائع أهلها وانصرافهم عن تعاليم الإنجيل وانهماكهم في الترف وكيف جهد الرسول في استئصال العادات البالية وكيف نجح في إرساء القيم العالية .

نرجو أن تكون تأملات هذه الرسالة نافعة لخلاص نفوس كثيرة في يوم الرب بشفاعات العذراء القديسة الطاهرة مريم والرسول المعظم القديس بولس آمين .

يوسف حبيب

مقدمة

عن رسالة بولس الأولى

إلى أهل كورنثوس

كتبت هذه الرسالة فى مدينة أفسس سنة ٥٧ م. وكانت مدينة كورنثوس كرسى مقاطعة أخائية من بلاد اليونان وأشهر مدنها وأفضلها فى العظمة واتساع التجارة وغنى الأهالى، واكتسبت هذه المدينة الكثير من موقعها الجغرافى، وكان أهلها مشهورين بالغنى الجزيل والتنعم ورفاهة المعيشة والتقدم فى الصنائع والفنون والعلم والفطنة، لكنه لم تكن شهرتهم لتمنع شهرة فسادهم وسوء آدابهم حتى صارت مجاهرتهم بالفواحش التى كانوا يستبيحونها مثلا سائراً بين الناس. فلما تلاقى أمرهم القديس بولس تألفت منهم كنيسة فى مدة وجيزة ويظهر أن هذه الكنيسة كانت كبيرة وممتازة بالمواهب الروحية ولكن فساد أهل المدينة وكبرياء بعض معلميها زينت لقوم من المؤمنين هناك بعض الأوهام والوساوس.

وكان ذلك ناتجاً بنوع خاص من المتنصرين من الأمم الذين كانوا يؤلفون الجزء الأكبر من هذه الكنيسة، وكانوا قد خرجوا حديثاً من الظلمة وعبادة الأصنام ولم يتخلصوا بالكلية من دنس القبائح الوثنية والأميال الباطلة، فتأججت فيهم نيران التحزب والجدال ودخل بينهم معلمون معجبون بأنفسهم يدعون الحكمة العالمية فسببوا بتعاليمهم الفاسدة، الاستخفاف ببساطة تعاليم الرسول والازدراء بدعوته الرسولية، وسعوا فى استئصال ثقة كنيسة الكورنثيين به وميلها إليه، فكثر التشويش بينهم وتمت العوائد المستهجنة فى عباداتهم الجمهورية ولاسيما فيما يتعلق بالعشاء الربانى وممارسة المواهب الروحية فضلا عن أن بعضهم أنكر تعليم القيامة.

وأخيراً كتب هؤلاء الكورنثيون إلى الرسول بولس يستشيرونه فى بعض أمور خارجية تتعلق بتصرفات المسيحيين ولاسيما فيما يختص بأمر الزيجة ... وقد كتب الرسول هذه الرسالة قاصداً إصلاح ذلك الفساد بإزالة وساوسهم وترغيبهم فى التمسك بالإنجيل وإثبات تعليم القيامة، ثم الإجابة على المسائل التى كتبوا إليه عنها بمقتضى تعاليم الإنجيل.

والمعروف أن هذه الرسالة كتبت بعد رحيل بولس من كورنثوس وقد أجمعت الآراء على أنها كتبت من أفسس بالقرب من يوم الخمسين سنة ٥٧ م تقريبا ... (١).

(١) كتاب مرشد الطالبين إلى الكتاب المقدس الذى طبع سنة ١٨٦٩م.

من تأملات القديس يوحنا ذهبي الفم

عندما بدأ الرسول فى كتابة رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أوضح الأتعاب والمشقات التى سيكابدها فتحدث هكذا قائلا فى صـــدد :

احتمال أتعاب الخدمة

« وأنا كنت عندكم فى ضعف وخوف ورعدة كثيرة » ١ كو ٢ : ٣ .

عانى بولس ضيقات كثيرة وكانت صعوبة مواضيع التبشير نفسها تكفى لتصد الناس . لأنها عن الصلب والموت والقيامة فضلا عن الأخطار والمؤامرات والمخاوف اليومية والفخاخ ، ويقول فى ذلك : « لذلك أسر بالضعفات والشتائم والضرورات والاضطهادات والضيقات لأجل المسيح » ٢ كو ١٢ : ١٠ .

فماذا كان يعنى فى خوف ورعدة ؟ أكان يخاف الأخطار ؟ نعم كان يخاف ويرتعب بكثرة لانه ولو انه بولس الا انه بشر ، وهذا ليس اتهاما . انها الطبيعة البشرية ولكن نقرأ أنه رغم تلك المخاوف لم يفعل شيئا خطأ بسبب هذا الخوف . لذلك فإن الذين يؤكدون أن بولس لم يخف ليس فقط أنهم لا يكرمونه بل يقللون

من استحقاقه لأنه إذا كان بولس لم يخف فأى احتمال إذن أو أية مقاومة كانت له عند تحمله الأخطار ؟

ومن العجيب أنه مع كونه فى خـــوف . ليس فى خوف فقط بل فى رعدة فى تجاربه كان يتقدم إلى الأمام لينال الاكليل ، ولم يقم وزنا للأخطار ، فجاب البحار واليابسة يبشر بالإنجيل .

ويقـــول فى ص ٢ : ٤ ، ٥ « وكلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع بل ببرهان الروح والقوة لكى لا يكون إيمانكم بحكمة الناس بل بقوة الله » .

كان موضوع البشارة صعباً والذين بشروا كانوا جهلاء مضافا إلى كل هذا ما قاساه من الاضطهاد والرعب والخوف ، وما كان يمكنه الغلبة بدون القوة الإلهية ، ولذلك فإن بولس لما قال ان كلامى وكرازتى لم يكونا بكلام الحكمة المقنع أضاف إلى ذلك: بل ببرهان الروح والقوة .

الرسل اضطهدوا وكانوا فى رعب وفى سلاســـل وقد غلبوا العالم مع أنه لم يكن لديهم من وســـائل الجذب لا فى الكلام ولا فى المظهر ولا فى الثراء ولا فى التمدن ولا فى العصبية والنسب لا قوة ولا مجد أو ما شابه ذلك من الأمور ، ولكن كانت لهم الأمور المضادة ... والوصايا التى بشروا بها كانت ثقيلة والمعتقدات أكثر ثقلا .

والذين سمعوا وكان عليهم أن يطيعوا كانوا منهمكين فى اللهو والسكر وفى شر عظيم . فأنى لهم أن يستجيبوا ويقتنعوا وكيف يكون للبشارة جدوى إذا لم يلبسوا قوة من الأعالى ؟ ... لكن لنتأمل جيداً فإن الذين كانوا يخلصون كانوا يجدون أمامهم القدوة، يجدون فيهم الأعمال الحسنة حسب ماهو مكتوب . ان المعلمين أنفسهم فاقوا الآخرين وكانوا عائشين فى جوع وعطش وعرى .

... أما نحن فنشتاق إلى الترف الكثير والراحة واليسر .

«إلى هذه الساعة نجوع ونعطش ونعرى ونلكم وليس لنا اقامة» ١كو ٤: ١١ بعضهم جال من أورشليم إلى الليريكون رو ١٥: ١٩، وآخرون إلى الهند ، وآخرون إلى المورة وآخرون من إقليم إلى آخر ، فى الوقت الذى نحن فيه لا نجد الشجاعة لنبتعد عن وطننا ولكن نبحث عن تعظم المعيشة والمنازل الفاخرة وكل الكماليات.

من منا جاع من أجل التبشير بكلمة الله ؟

من عاش فى القفار ؟

من منا جال لاماكن نائية ؟

من منا عاش بتعب الأيدى ليعول الآخرين ؟

من احتمل الموت كل يوم ... ؟

إن القادة إذا كانوا يحتملون الجـــوع والعطش والبرد والأخطار وكل أمر مخيف ناظرين إلى النصرة وإلى الأكاليل المعدة للفائزين فهم بذلك قدوة للجنود يلهبون حماسهم للقتال فيخوضون المعركة والنصر حليفهم، ولكن إذا تكاسلوا وانغمسوا فى حب الثراء والهموم والترف فإنهم ينهزمون من أعدائهم... فليتنا الآن ننظر فى أمر نفوسنا وأحوال السابقين لاننا قد صرنا أضعف إذ أخذنا بغرور الحياة الحاضرة .

خطر الاهمال فى الخدمة

إننا نتراخى ونهمل فى الخدمة ونتذرع بحجة السعى نحو خلاص نفوسنا .

إذا سأل أحد هؤلاء الخدام فإنه يخترع عذراً إذ يقول أخشى لئلا أهلك وأضيع صلاحى فإنى أرحل بعيداً ... كم كان الأفضل لك أن تكون أقل اجتهاداً وتربح الآخرين ، أحرى بك من أن ترتفع لتهمل إخوتك فيهلكون .

والآن إذا كان البعض يهملون الفضيلة والبعض الآخر مع ممارستها ينسحب من الصفوف كيف يمكننا إذن أن نقمع أعداءنا؟ ومن يلتفت الينا بعد أن ساءت أمورنا هكذا ؟

مما لا شك فيه أن محبتنا الأخوية وقدوتنا الطاهرة وقدوتنا الطيبة لهى الحجة القوية العاملة لانه حتى المصائب فإنه يؤمن بها

البعض . أما الحياة الطاهرة العاملة بالمحبة فإن لها قوة خارقة لسد كل فم حتى الشيطان نفسه .

هذه الأمور أقولها للجميع وقبل الجميع أقولها لنفسى حتى نعرف حقيقة أنفسنا ولا نأبه للأمور الحاضرة فلا نغتر بالعظمة والثروة والجاه أو نستخف بهم . لا نغض النظر عن الأمجاد السمائية **ولا نهمل خلاص الآخرين** ، نحتمل الشقاء والتعب هنا حتى لا نسقط فى العقاب الأبدى هناك ... ويجب علينا نحن بالأكثر الذين نجذب الناس من الخداع أن نحتمل الأخطار والموت وكل الأمور حتى نربح نفوسنا والآخرين جميعا ونكون صامدين أمام أعدائنا ،وعندئذ ننال الخيرات التى وعدنا بها ما لم تره عين وما لم تسمع به اذن وما لم يخطر على قلب بشر .

حكمة هذا العالم تبطل

« لكننا نتكلم بحكمة بين الكاملين ولكن بحكمة الله فى السر، الحكمة المكتومة التى سبق الله فعينها قبل الدهور لمجدنا ... » ١ كو ٢ : ٦ ، ٧ .

ان الظلام نافع ومناسب أكثر من النور للمرضى بعيونهم ولذا فإنهم يلتجئون إلى الغرف التى تكون مظلمة تماما ، وهكذا الحال أيضا فى أمر الحكمة الروحية فكما أن حكمة الله كانت تظهر

كأنها جهالة للذين هم بدونها، كذلك أيضاً حكمتهم فإنها فى الحقيقة جهالة وأن كانوا يعتبرونها حكمة ، مثلهم مثل إنسان له خبرة فى الملاحة يظن أنه بدون سفينة أو شراع يستطيع أن يسير فوق الماء ثم يحاول أن يثبت أن هذا الأمر يستطاع، بينما آخر وهو يجهل فن الملاحة يلتجىء إلى السفينة ويمسك بالدفة ويتعاون مع البحارة فيبحرون فى سلام ، لأن جهالة هذا الشخص الظاهرية أحكم من حكمة أولهما . ان وجود السفينة أمر ضرورى ولكن إذا اعتقدت أنه ليس هناك حاجة اليها فقد أصبحت الخبرة والحكمة جهالة .

والحكمة يشير بها الإنجيل إلى طريقة الخلاص ، الخلاص الذى بالصليب ، والكاملون هم المؤمنون .

أنه يردف ويقول بحكمة ليست من عظماء هذا الدهر ويدعوهم هكذا لأن سيطرتهم لا تتجاوز هذا الزمان الحاضر ولذلك فإنه يقول : « الذين يبطلون » لأنه بعد ما بين أن حكمتهم لا تكتشف شيئاً أوضح أنها لا تدوم إلا مدة قصيرة .

ويقول الرسول بعدئذ ... نتكلم بحكمة الله فى السر . أى سر يقصده ؟

يقول السيد المسيح مت ١٠ : ٢٧ ، الذى تسمعونه فى الأذن

ينادى به على السطوح ، فكيف يدعوه إذن سراً ؟ ذلك لأنه
لا ملاك ولا رئيس ملائكة ولا أى مخلوقات أخرى عرفته قبل
حدوثه . لذلك يقول : « لكى يعرف الآن عند الرؤساء
والسلاطين فى السماويات بواسطة الكنيسة بحكمة الله المتنوعة »
اف ٣ : ١٠ ، وهذا فعله الله تكريما لنا حتى أنه بدوننا
لا يسمعون هذا السر ، لأننا نحن أيضا كدليل للصداقة نعلن
أسرارنا لأصدقائنا وليس لسواهم، فليسمع أولئك الذين يعرضون
للخجل أسرار الإنجيل وأولئك الذين يعطون القدس للكلاب
وأصحاب العقول التافهة لأن السر لا يحتاج إلا لكى يعلن كما هو،
وانه لن يكون سراً إذا أضفت اليه شيئاً من تلقاء ذاتك .

أيضا دعى سراً لأننا لا نلمس الأشياء التى نراها لكن بعض
الأشياء نراها والبعض الآخر نؤمن بها ، وهذا شأن الأسرار،
نشعر بفارق فى هذه الأمور بيننا وبين الشخص الذى لا يؤمن بها.

إنى أسمع « المسيح صلب » ، وعندئذ يصيبنى الدهش نحو رأفاته
لجنس البشر ، الآخر يسمع لكنه يعتبر ذلك ضعفاً ، أسمع أنه
صار عبداً فأتعجب من عنايته بنا ، الآخر يسمع لكنه يعتبر
ذلك عاراً . أسمع أنه مات فأقف مذهولا أمام عظمته لأنه مع
موته فقد كسر شوكة الموت، الآخر يسمع لكنه يعد ذلك بأساً.

الآخر يسمع عن القيامة فيقول انها قصة . أما أنا فإذ انى ملم
بالحقائق أسقط واسجد أمام عظمة مجده . الآخر يسمع عن العماد
فيعده كأنه ماء بسيط ، أما أنا فلا أنظر فقط إلى المادة المرئية
(الماء) ولكن إلى تطهير النفس بواسطة الروح . هو يعتبر أن
الجسد فقط قد اغتسل ولكنى أعتقد أن النفس أيضاً تطهرت
وتقدست ... إنى اعتبر القبر والقيامة والتطهير والتقوى والفداء
والاستقامة والميراث وعطية السماء . هى كمال فيض الروح لأنه
ليس بالعيان أحكم على الأشياء المنظورة ولكن بعين الإيمان .

وهذا شأن الأطفال إذ يتطلعون إلى الكتب لا يعرفون
معنى الرسالة ولا معنى ما ينظرونه ، وكذلك الرجل إذا لم يكن
ماهراً فنفس الأمر يقع له ، لا يرى إلا حبراً وورقاً ، ولكن
الرجل الماهر يجد معانى كثيرة مدخرة فى هذه الرسائل ، وهذا
هو بالذات المعنى الذى أراد أن يرمى اليه بولس بقوله الحكمة
المكتومة إذ يقول للهالكين أنها مكتومة ٢ كو ٤ : ٣ .

ولهذا فإن البشارة سر ولو أنه يبشر به فى كل مكان لكنها
لا تكون مفهومة لغير المستقيمين بقلوبهم ولا تكشف بالحكمة
البشرية لكن بالروح القدس .

ان الأنبياء سمعوا ولكن الأذن النبوية لم تكن أذن الإنسان

العادى لأنهم ليس كما يسمع الناس بل كما يسمع الانبياء ، أيضا قلب الانبياء لم يكن مثل قلب الإنسان ولكنه كان قلبا روحياً كما يقول الرسول أيضاً (لنا فكر المسيح) ، كأنه يريد أن يقول قبل أن كانت لنا نعمة الروح القدس وتعلمنا الأشياء التى لا يستطيع إنسان أن يتحدث عنها ، ليس أحد منا ولا من الانبياء يستطيع أن يدركها .

إذن أى نوع من الأشياء هذه التى بجهالة الكرازة قد غلبت العالم ... لقد عرفنا أن الله أظهرها بروحه - ليس بحكمة هذا العالم - لأن هذه تشبه أمة (خادمة) غير مكرمة لم يسمح لها بأن تدخل أو تعاين الأسرار المتعلقة بسيدها ، فانظر اذن إلى الفارق بين هذه الحكمة وبين حكمة العالم .

يقول الكتاب ان الروح يعرف كل الأشياء حتى أعماق الله.

وقوله مقارنين الروحيات بالروحيات أى نأتى بالشهادات من الامور الروحية ، تقول المسيح قام فنأتى بشهادات وصور وايضاحات من القديم فنقول مثلا كما كان يونان فى بطن الحوت وخروجه بعد ذلك ، نأتى بالأشياء العتيدة من الأشياء الاولى فتأتى الامور بعدئذ ويمكن تصديقها .

وماذا إذن؟ قد يقول إنسان وهل هذه الحكمة والمعرفة

وصمة مع أنها أيضاً من أعمال الله ... كيف يكون ذلك ... ؟

نقول أن الخطأ هو خطأ الإنسان فبلا قوة الجسم شىء جميل ولكن لما استخدمها قايين فيما لا ينبغى أذله الرب وجعله يرتعب تك ٤ : ١٢ .

إنه إنسان طبيعى ذلك الذى يرجع كل الأشياء إلى العقل ، ولا يعتبر أنه يحتاج إلى معونة علوية وهذه صورة من الغباء المطلق لان الله وضع ضرورة العلم وجعل نيل المعونة منه وليس بالاكتفاء الذاتى من الإنسان نفسه لنفسه . ان العيون جميلة ونافعة ولكن إذا اختارت أن تنظر بدون النور فإن جمالها لن يفيد شيئاً ولا قوتها الطبيعية تنفع ، لكن بالاكثر يحل الضرر ، كذلك أيضاً كل نفس إذا اختارت أن ترى بدون الروح تضار .

ان الشيطان إذا رأى فى مكان ما من يتكلم عن الامور الفاسدة فإنه يجعل الجميع يتهيأون بفكر واحد ، أما عند الحديث فى الامور السديدة فإنه يزرع الزوان والشقاق .

إن الإنسان إذا نظر من بعيد إلى برج مربع يخيل اليه أنه مستدير وما ذلك إلا خدعة العين ، كذلك الامور التى يفحصها الإنسان بتفكيره وحده فإنه ليس فقط لا يرى الأشياء على حقيقتها ولكنه قد يعتبرها أضداد ما هى عليه .

إن الامور الروحية تحتاج للإيمان ولكى ندركها بالعقل وبالعيان أمر غير ممكن لان عظمتها تفوق بما لايقاس عقولنا وتفكيرنا .

ان السيد يقول : « لا أدعوكم بعد عبيداً بل أصدقائى لأنى أعلمتكم بكل ما سمعته من أبى » يو ١٥ : ١٥ ،فلنتأمل إذن مقدار هذه المحبة المذخرة لنا .

كرازة الرسل بقوة الروح القدس

أنظر إلى فعل السيد المسيح مع الرسل ... كانوا ضعفاء إزاء الاقوياء ، قلة أمام كثيرين ، فقراء أمام أغنياء ، جهلاء قبالة حكماء ... وهكذا كانوا يبشرون فى عالم آخر .

كانت أمامهم أموراً حديثة ،وكان عليهم أن يقاوموا العادات التى تأصلت ،وليس أصعب من استحداث أمور غريبة وخصوصاً إذا كان ذلك فى المسائل المختصة بالعبادة وبمجد الله .

وهل الإثنا عشر صياداً وصانع الخيام والامين أحكم من كل هؤلاء ؟ من يستطيع أن يحتمل مثل هذا الكلام ؟ ... لقد قهروا كل شىء ولم يكن أمر يقف فى سبيلهم .

وانا نستطيع أن نعرف مقدار قوة تملك العادة . انها فى حيان كثيرة جاوزت أوامر الله ، وما لى أقول أوامره فقط بل حتى نعمه أيضاً فإنه لما أنزل المن لليهود طلبوا الثوم ،كانوا متمتعين بالحرية ولكنهم كانوا ينظرون إلى العبـــودية وكانوا يتشوقون باستمرار إلى مصر .

وإنه إذا كانت العقائد هى التى أصلت العادات فإن جذورها تكون متعمقة بالاكثر لانه بسهولة إلى حد ما يمكن للإنسان أن يغير الاشياء . أما الامور المتعلقة بالدين فمن الصعب التغيير فيها . انهم لم يكونوا فقط يقودون الناس من عادة إلى أخرى ولكنهم كانوا يقودونهم من عادة لم يكن فيها أى خوف إلى أخرى تعرض لتهديدات خطرة . كان عليهم أن يحتملوا القبض والاضطهاد والنفى واحتمال أسوأ الشرور ، يكونون مكروهين من جميع الناس ويكونون أعداء لعشيرتهم وللغرباء ، وحتى لو كانوا دعوا الناس إلى عادات أخرى خارجة عن التهديد ، حتى فى هذه الحالة كان أمر التحويل صعباً ـ أما أن يكون التحويل من عادات إلى أشياء مستحدثة مع كل هذه المخـــاوف فان فى ذلك عقبة أشد من سائر العقبات .

أيضاً ان أمراً آخر ليس بأقل مما سبق ذكره يجعل هذا التغيير شاقاً،فالى جانب العادات والمخاطر فإن هذه الوصايا كانت ثقيلة ، والتى كانوا يجذبون الناس منها كانت سهلة وخفيفة ...

ان دعوتهم كانت من الفسق إلى العفة ، من محبة التلذذ بالحياة إلى أنواع المياتات الكثيرة ، من السكر إلى الصوم ، من الضحك إلى البكاء ، من البذخ إلى الفقر ، من الأمن إلى الخطر ، من السهولة فى ارتكاب القبائح إلى الحزم والصرامة .

يقول بولس الرسول أفسس ٥ : ٤ .

« لا القباحة ولا كلام السفاهة يخرج من أفواهكم » ، وهذه الأمور التى تكلموا عنها لم تكن إلا إلى أناس لايعرفون غير السكر وشهوة بطونهم ، وكانت احتفالاتهم قاصرة على أمر واحد وهو الخلاعة والسخرية والانغماس فى الملذات ... كذلك كانت المعتقدات الجديدة صعبة بالنسبة لأناس تربوا على اليسر والاستهتار والقباحة وفواحش الكلام والهزل والانغماس فى الملاذ .

مَن مِن هؤلاء الذين عاشوا فى مثل هذه الأشياء عندما يسمع كلام السيد : « من لا يأخذ صليبه ويتبعنى لا يستحق » ، « وانى لم آت لألقى سلاما بل سيفا » ، « لأجعل الإنسان ضد أبيه والابنة ضد أمها » . من يسمع ويفهم ولا يشعر بأنه خائر العزيمة ؟

من من هؤلاء إذا سمع كلام السيد ، من لايترك بيته ووطنه وممتلكاته لا يستحق ، لايتردد .

لكن كان هناك من لم يشعروا بخور العزيمة فلم يتباعدوا عند سماع هذه الامور وأسرعوا إلى الاستجابة وبغيرة نفذوا الوصايا التى سمعوها حيث تحنت قلوبهم بفعل الروح القدس .

أيضاً تقول يسمعون أن كل كلمة بطالة سوف يعطون عنها حساباً ، وكل من نظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه ، أيضاً من يغضب باطلا فإنه يطرح فى جهنم . مَن مِن هؤلاء الرجال لا تخيفه مثل هذه الاشياء ؟

لكن كثيرين تبعوا السيد المسيح وقفزوا إلى هذه الحدود المرسومة بفعل الروح القدس الذى كان يعمل فى تلاميذ الرب يسوع الذى له المجد إلى الابد آمين .

الهروب من الحسد والخصام والشقاق

« وأنا أيها الاخوة لم أستطع أن أكلمكم كروحيين بل كجسديين كأطفال فى المسيح ، سقيتكم لبناً لا طعاماً ، لأنكم لم تكونوا بعد تستطيعون بل الآن أيضاً لا تستطيعون ، لأنكم بعد جسديون . فإنه إذ فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون بحسب البشر ، لأنه متى قال واحد أنا لبولس وآخر أنا لأبلوس أفلستم جسديين ؟ »

١ كو ص ٣ : ١ - ٤ .

كيف يدعو هؤلاء جسديين ؟ ... إنه إلى هؤلاء قال السيد

المسيح مت ٧ : ٢٢، ٢٣، أبعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم انى لا أعرفكم ، ولو أنهم جميعا أخرجوا شياطين وأقاموا موتى وتنبأوا . لذلك فإنه يكون ممكناً حتى للإنسان الذى يصنع المعجزات أن يكون جسديا ، لأنه ليس لاجل صانعى المعجزات أنفسهم يفعل الرب المعجزات بل لاجل الآخرين ، والآن ينبغى ألا نتعجب إذا رأينا الآيات والمعجزات تحدث مع عدم استحقاق فاعليها لان هذه الامور تعمل لاجل الذين صنعت لاجلهم .

الرب أعطى البعض أن يكونوا رسلا والبعض أنبياء والبعض مبشرين والبعض رعاة والبعض معلمين لاجل تكميل القديسين لعمل الخدمة ... وقد تكون الرعية صالحة متمسكة بالفضيلة والرعاة يعيشون فى شرور فهل تبطل أسرار الكنيسة ؟ فلا يكون عماد أو تناول إذا كانت النعمة فى كل حالة تستلزم الاستحقاق ؟ ولكن الله يعمل حتى بواسطة الاشخاص غير المستحقين . لا تتعطل نعمة العماد مثلا بأى حال من الاحوال لسلوك الكاهن وإلا فإن الذى يتقبل العماد يناله الخسران . وعلى هذا ولو أن هذه الامور تحدث نادراً لكنها لا تزال تحدث .

وإنى أقول هذه الامور لئلا ينشغل أحد بسيرة القسوس ، فإن الإنسان ليس له أثر فى الامور المنظورة أمامنا ولكن هى عمل قوة الله وهو الذى يقودك إلى أسراره .

ان الرسول يقول إذا كان فيكم حسد وخصام وانشقاق ألستم جسديين وتسلكون حسب البشر ؟ ولو أن أمامه شروراً أخرى كالفسق وعدم الطهارة ليتكلم عنها ولكنه يضع أمامهم بالحرى هذه الذنوب .

والآن إذا كان الحسد يجعل الإنسان « جسديا » فإنه الآن وقت لكى ننوح بمرارة ونلبس المسوح ونجلس على الرماد لانه من تزكى من هذه العلة ؟ ... إذا كان الحسد يجعل الناس هكذا جسديين ويحرمهم من أن يكونوا روحيين ولو أنهم يتنبأون ويصنعون أعمالا عجيبة ـ ولولا رحمة الله بنا ماذا يكون حالنا نظير أعمالنا نحن الذين نسقط ليس فى هذه فقط بل فى خطايا كثيرة أكثر خطراً ونحن مدانين بها .

ومن هنا نعلم كيف أن السيد المسيح قال فى إنجيل يوحنا ص ٣ : ٢٠ « لأن كل من يعمل السيئات يبغض النور » . ليس من السهل لإنسان يسلك فى الشر أن يلتفت بسرعة إلى عمــق

الأسرار المسلمة إلينا . ولكن ينبغى أولاً أن يتطهر من كل العلل التى تعيقه عن الحق .

لا أطلب أن تفكروا أن الابتعاد عن الطمع والفسق ... يكفى . لا ليس كذلك ، وفى هذا يقول بطرس الرسول (أع ١٠ : ٣٤ ، ٣٥) « ... بالحق أنا أجد أن الله لايقبل الوجوه ، بل فى كل أمة الذى يتقيه ويصنع البر مقبول عنده » ، أى أنه يدعوه ويجذبه إلى الحق إذا كان يرغب ويشتاق إلى ذلك.

ويقول : « إن قال واحد أنا لبولس وأنا لأبولس ألستم جسديين ؟ » فأوضح بذلك أن هذا لن ينفعهم شيئاً على الإطلاق أو يكسبهم تقدماً بل هو ضار وهو عثرة فى تقدمهم فى الأمور الكبيرة ، لأنه أدى بهم إلى الحسد والحسد جعلهم جسديين ، وإذ صاروا جسديين أصبحوا غير أحرار فلا يسمعون إلى الحقائق العظيمة القيمة .

ثم يقول « من هو إذن بولس ومن هو أبولس » ، إنه يقدم ذاته أولاً ويعتبر نفسه كلا شىء ثم يضيف « بل خادمان آمنتم بواسطتهما » . لم يقل « إنجيليون يبشرون بالإنجيل » بل خداماً ، لأنهم ما كانوا يبشرون بالإنجيل فقط لكن كانوا خداماً . لم يكتفوا على التبشير بالكلام فقط بل بالعمل أيضاً .

لم يقل ، أولئك الذين جذبوكم إلى الإيمان ، ولكن أولئك « الذين بواسطتهم قد آمنتم » فإنه بذلك ينسب النصيب الأكبر اليهم مبيناً بذلك منزلة « الخدام » الثانوية - والآن إذا كانوا خداماً لآخرين كيف يتفق أن يأخذوا السلطة لأنفسهم

ويقول « كما أعطى الرب لكل واحد » لم تكن السلطة من ذواتهم بل من الله الذى وضعها فى أيديهم، وأن الامور التى تعمل ليست من أنفسنا لكن من الله الذى أعطاها .

ويقول أنا زرعت وأبولس سقى ولكن الرب كان ينمى ، إذن ليس الزارع شيئاً ولا الساقى ولكن الرب الذى ينمى .

إنه يعالجهم بطريقته اللطيفة حتى لايثوروا إذا ماسمعوا من هذا الإنسان ؟ أو من هو ذاك ؟ ، ولذلك قال ليس الزارع ولا الساقى شيئاً، وانظر إلى حسن تعبيره فإنه أولا ينسب الضعف إلى ذاته فيقول من هو بولس ومن هو أبولس وثانياً يرجع الكل إلى الله مانح كل الأشياء .

إنه بعد ما قال ان هذا الإنسان زرع ، قال ليس الزارع شيئاً وربط ذلك بقوله ولكن الله هو الذى ينمى ، ولم يكتف بذلك ولكنه عاد فقال ولكن الزارع والساقى هما واحد ، وبهذا

فإنه يؤكد نقطة أخرى وهي أنه لا ينبغي أن ينتفخ الواحد على الآخر، وأن تأكيده ذلك يتبعه عدم قدرتها على عمل شيء بدون « الله الذي ينمي ».

وبهذا القول منع أن يتعاظم من يعمل كثيراً على من يعمل أقل وليس للأخيرين أن يحسدوا الأولين.

ومن ناحية أخرى لئلا يميل الناس إلى التكاسل بحجة أن الجميع يعتبرون واحداً سواء أعملوا كثيراً أو قليلا فإنه يردف القول ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه وكأنه يقول لا تخافوا لأني قلت أنكم واحد. انه بالمقارنة إلى عمل الله فهم واحد، لكن بالنسبة إلى عملهم ليسوا كذلك ولكن كل واحد سينال أجرته، ثم يخفف عليهم بالأكثر بعد ما نجح فيما أراد فيشكرهم ويقول نحن عاملان وأنتم فلاحة الله وبناء الله.

والآن إذا كنتم فلاحة الله فإنه حق ألا تدعون ممن يزرعون ولكن من الله لأن الحقل لا يدعى باسم الزارع ولكن باسم صاحبه.

خطورة الانفصال عن السيد المسيح

يقول أنتم بناء الله، وإذا كنتم بناء لا ينبغي أن تكونوا منقسمين بل محاطين بسور واحد.

ويقول « حسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم قد وضعت أساسا » ص ٣ : ١٠.

إنه في هذا الموضع يدعو نفسه حكيما لا ليفتخر بنفسه ولكن ليعطيهم مثالا، ويمكن ملاحظة تواضع بولس أنه إذ تكلم عن نفسه كحكيم فإنه لم يسمح قط ليكون ذلك من ذاته أيضا ولكنه أولا وقبل كل شيء عزا كل الأشياء إلى الله، لأنه يقول بحسب نعمة الله التي أعطيت لي، ولذلك فإنه يوضح أن الكل من الله وأن هذا بعمل النعمة غير المنقسمة والقائمة على الأساس.

لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح. لنلتفت إذن كيف نبني لئلا يكون للمجد الباطل أو لئلا يكون لكي تنجذب نحو الناس. لنصرف النظر عن الآراء الفاسدة لأنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير هذا الأساس، ليتنا نبني ونلتصق بالأساس، ليتنا نثبت كالغصن في الكرم ولا يكون هناك انفصال بيننا وبين يسوع.

فلو كانت هناك مسافة بيننا وبين يسوع فإننا سوف نهلك لأن الغصن يثبت ما دام ملتصقاً بالأصل والبناء يقوم لأنه متماسك بعضه ببعض، أما إذا كان قائما وحده فإنه يسقط لأنه ليس له ما يسنده. لنتمسك إذن بالسيد المسيح ولنلتصق به لأننا

إذا تباعدنا فسوف نهلك كما يقول داود النبي « لأنه هوذا البعداء عنك يبيدون » مز ٧٣ : ٢٧ . لنلتصق إذن به بأعمالنا لأنه كما يقول فى يوحنا ١٤ : ٢١ « الذى عنده وصاياى ويحفظها فهو الذى يحبنى ، والذى يحبنى يحبه أبى وأنا أحبه وأظهر له ذاتى » .

هناك صور عديدة يجذبنا بواسطتها إلى الاتحاد به . لذلك إذا كان هو الرأس ونحن الاعضاء . فهل يمكن أن يكون هناك حلقة فارغة بين الرأس والاعضاء ؟ ، هو الاساس ونحن البناء ، هو الكرم ونحن الاغصان ، هو الراعى ونحن رعيته ، وهو الطريق الذى نسير فيه ، نحن الهيكل وهو الساكن فيه ، هو الوارث ونحن الوارثون معه ، هو الحياة ونحن الاحياء ، هو القيامة ونحن سنقوم ، هو النور الذى ينير لكل إنسان ... كل هذه الامور توضح الوحدة ولا تسمح بأية تجزئة مهما كانت .

إن من يتراجع ولو إلى مسافة قصيرة سيجد نفسه وقد تباعد إلى مسافات بعيدة جداً ، لأنه هكذا مثل جسم الإنسان إذا أصيب بجرح بسيط يهلك والبناء لو عرض له تشقق ولو كان ضئيلا جعل البناء ينهار ، والغصن إذ يقطع من الاصل يصبح عديم النفع .

إذن إذا ما ارتكبنا خطأ طفيفاً أو إهمالا بسيطا فلا نتهاون فى هذا القليل لأننا إذا غضينا الطرف عنه فإنه وشيكا يصبح خطأ

جسيما ، مثل حلة إذا أصابها البلى فإنه من المحتمل أن الثوب كله يمزق ، أو كالسقف إذا سقط منه بعض عروق خشبية فالمنزل كله يسقط .

ليتنا نعى هذه الامور ولا نهمل الأشياء الصغيرة لئلا نسقط فى الامور الكبيرة . لكن ان كنا احتقرنا الامور الصغيرة ووصلنا إلى هوة الشرور فلا نيأس لئلا نسقط فى الاستهتار ، لأن القيام من ذلك يكون أمراً صعباً إذ نجد أنفسنا فى مأزق خطر .

ان الخطية عميقة وتسحق من يقع فيها وكما أن من يسقط فى بئر ليس من السهولة خروجه منها لكنه يحتاج إلى من ينشله ، كذلك أيضاً من وصل إلى هوة الخطية . إلى هؤلاء ينبغى أن نلقى الحبال ونجذبهم إلى فوق ، والرب يمد يد معونته لأنه لا يشاء موت الخاطىء ، بل رجوعه . فلا ييأس إذن أى أحد .

ليت كل إنسان لا يكون لديه الشعور بالفشل واليأس ... فليست كثرة آثام الناس هى التى تسبب اليأس لكنه الاستسلام .

إذا ما كنت فى أعماق الشرور خاطب ذاتك أن الله محب للبشر ويرغب فى خلاص الجميع كقول الكتاب ان كانت خطاياكم كالقرمز تبيض مثل الثلج .

ليتنا لا نستسلم لليأس ، لأن السقوط ذاته ليس أخطر من

الرقاد فى مكان سقوطنا وعدم النهوض ، وليست الجراح خطيرة أمرها إلا عند ما لا يوضع لها الدواء أو نرفض الشفاء ، ومن يستطيع أن يفتخر أن لديه قلبا طاهراً ومن يستطيع أن يقول بأمانة أنه نقى من الخطية ؟ على أن هذه الامور لا يصح أبداً أن تجعلنا أكثر اهمالا ولكن تمنع سقوطنا فى اليأس .

أتريد أن تعرف مقدار رحمة إلهنا ؟ ان العشار كان مثقلا بالشرور وإذ قال ارحمنى خرج مبرراً (لوقا ١٨ : ١٣ ، ١٤) ، ويقول الرب بلسان أشعياء النبى « من أجل إثم مكسبه غضبت وضربته ، استترت وغضبت فذهب عاصياً فى طـــريق قلبه ، رايت طرقه وساشفيه وأقوده وأرد تعزيات له ولنائحيه » ص٥٧ : ١٧ ، ١٨ ، أى بسبب الشر أحزنته لمدة قليلة ولما رجع عن إثمه شفيته ... فهل هناك ما يعادل هذه الرأفات ؟ فإننا نهيج غضب الله ونستخف بلطفه وامهاله ونتمادى فى التوغل فى الشرور الكبيرة .

التوبة تجلب الرحمة

من منا كان حزينا لاجل خطاياه ؟ من دق صدره نادماً ليغير ما به ؟ لا أحد ـ ولكن أياما بلا عدد يقضيها الناس فى البكاء على الموتى وعلى فقد المال ... أما عن النفس فلا نعطيها أى اهتمام

كيف إذن تستميل عطف الله عندما لا تعرف حتى انك اخطأت؟

يقول البعض أنا اخطأت ، ولكن هذه الكلمة يرددونها باللسان . قل هذه الكلمة من قلبك وفى قولها إكتئب بكثرة وأنت حينذاك يكون لك فرح دائم . لانه إن كنا نحزن لأجل آثامنا وننوح بكثرة لأجل ذنوبنا فإنه لا شيء آخر يستطيع أن يسبب لنا حزناً ، لأن هذه الضربة الأليمة الوحيدة تطرد كل أنواع الحزن . وهناك شيء آخر نربحه بالاعتراف الصحيح وهو أننا لا نضطرب لآلام هذه الحياة ولا يغرينا مجدها ، وفى هذا الطريق نستعطف الله بالأكثر .

أخبرنى إذا كان لديك خادم قد ذاق شروراً كثيرة من غيره من الخدم وكان لا يبالى بهم ولكنه يحرص ألا يغضبك ، أليس هذا وحده بكاف لرضائك ؟ ولكن إذا كان ذلك العبد لا يكترث عندما يذنب اليك وفقط يشتغل بزملائه ... ألا توقع عليه أقسى العقوبات ؟ هكذا يفعل الله عندما لا نكترث به فإنه يجلب علينا غضبه بكثرة ، ولكن إذا كنا لا نغضبه فهو يترفق بنا ، لا بل ولا يضع علينا ثقلا ... إنه يريد منا أن نتوب عن آثامنا وهو ذاته لا يفعل بنا بعد ذلك شيئاً .. تأمل ما قاله أرميا النبى (٧ : ١٧ ، ١٨) « أما ترى ماذا يعملون فى مدن يهوذا

وفى شوارع أورشليم ، الأبناء يلتقطون حطبا والآباء يوقدون النار والنساء يعجن العجين ليصنعن كعكا لملكة السموات ولسكب سكائب لآلهة أخرى لكى يغيظونى » . إنى أخشى أن يوجه مثل هذا الكلام إلينا، ألم تر مافعلوه ؟ لا أحد يطلب الامور المختصة بالسيد المسيح ولكن كل واحد يطلب أموره الخاصة . أبناؤهم سعوا للنجاسة ، آباؤهم أحبوا الجشع والسلب لنيل العظمة والجاه فى غرور الحياة،كمن يكون فى الاسواق يسأل القادمين والذاهبين لا تجد أحداً مسرعا لغاية روحية ، الجميع يتسابقون نحو الامور الجسدية.متى نفيق من انها كنا وإلى متى نغرق فى نوم عميق... ؟ ليتنا نخلى ذواتنا من كثرة الاهتمام بأمور العالم الحاضر حتى ننال الاخرى المزمع أن تأتى .

يجازى كل واحد حسب اعماله

« ولكن إن كان أحد يبنى على هذا الاساس ذهباً، فضة حجارة كريمة، خشباً، عشباً، قشاً، فعمل كل واحد سيصير ظاهراً لأن اليوم سيبينه لأنه بنار يستعلن وستمتحن النار عمل كل واحد ما هو ان بقى عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة . ان احترق عمل أحد فسيخسر وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار » ١ كو ٣ : ١٢ - ١٥ .

إنه ليس بالأمر الهين ... فهل لنار جهنم نهاية ؟ ليس لها نهاية وقد أعلن السيد المسيح وقال نارها لا تطفأ ودودها لا يموت (مر ٩ : ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨) .

إنى اعلم أنه تنتابك رعدة لدى سماعك هذه الامور ولكنها أوامر الله ذاته أن يسمعنا صوته فى هذه الامور . إنه يرن فى آذاننا دائماً..إننا مضطرون أن نؤلم الذين يسمعوننا ليس بإرادتنا لكن بالرغم منا ، ولكن ان أردتم أن تتجنبوا مثل هذه الآلام فلنعمل بما أشار اليه بولس الرسول رو ١٢ : ٢ ولنفعل الخير فلا نخف .

أبدية العقوبة للخطاة

لقد أوضح السيد المسيح أن النار ليس لها نهاية وبولس أيضاً أوضح أبدية العقوبة ، أن الخطاة سوف يعاقبون بهلاك أبدى من وجه الرب .

يحذر السيد المسيح المتدينين بالظاهر وديانتهم غير طاهرة ، أولئك الذين يصرخون فى يوم الدين باسمك صنعنا عجائب ... فيقول لهم ابعدوا عنى إنى لا اعرفكم يا صانعى الإثم (مت ٧ : ٢٢) مثلهم مثل العذارى اللواتى أقفل عليهن ولم يدخلن مت ٢٥ : ٤٦ - فيمضى هؤلاء إلى العذاب الأبدى .

لا تقولوا ما هو العدل المذخر فى هذا وكيف تكون العقوبة بلا نهاية ؟ . ينبغى إذا ما صنع الله أمراً أن نطيع أوامره . هل هناك تكون نتيجة أخرى خلاف هذه بالنسبة لإنسان اختبر نعما لا حصر لها منذ البداية وبعدئذ يرتكب أفعالا تستوجب العقوبة رغم التحذير والوعود الصالحة .

ان العدل المطلق يقضى بأن يهلك العاصون توا منذ الابتداء ... إن من يسىء إلى المحسن الذى أنعم علينا بنعم لا حصر لها ، الخالق وحده الذى أعطى ألوفا عديدة من العطايا والذى يريد لنا أن نرث ملكوت السموات ، أيكون مستوجباً للعفو ؟ ألم تر كيف عاقب آدم لأجل خطأ واحد ؟ . قد تقول لكنه أعطاه الفردوس لخطئ بنعم جزيلة .

أقول ان الحال ليس واحداً بالنسبة لمن يخطىء وهو يتمتع بالسلام واليسر ومن يخطىء وهو فى ضيق عظيم ، وعلى هذا القياس ان خطايانا ليست خطايا من هو قائم فى أى فردوس ولكن وسط شرور هذا العالم التى لا نهاية لها ، ومع هذا فإننا لا نصحو حتى فى وسط هذا الضيق ، كإنسان لا يزال فى السجن ويظل يمارس جريمته مع ما وعد به من أمور أفضل من الفردوس .

ان آدم ارتكب ذنبا واحداً وجلب على نفسه الموت أما نحن فنرتكب كثيراً من التعديات ، وإذا كان آدم بعمل واحد جلب على نفسه مثل هذا الشر بل الموت ، فماذا ينبغى أن نقاسيه نحن الذين نعيش دوما فى الخطايا مع أنه عوضاً عن الفردوس قد وعدنا بالسماء .

إن النتيجة قاسية ومؤلمة للسامع فالقلب يقلق ويضطرب وعلى قدر ما أرى أن نار جهنم ثابتة على قدر ما أرتعب بالخوف لكن من الضرورى ذكر مثل هذه الأشياء لئلا نقع فى جهنم . إن ما تناله ليس الفردوس ولا الأشجار ولا المزروعات ولكنها السماء والأشياء الصالحات التى فى السماء . والآن إذا كان الذى أخذ قليلا قد دين ولم يعفه من العقوبة أى اعتبار ، فمن يخطىء بكثرة وقد دعى إلى أشياء أعظم أفلا ينال الويلات ... ؟

توبى يا نفسى ما دمت فى الأرض ساكنة

ليتنا نتأمل كم مضى من الوقت الطويل لأجل خطية واحدة ظل الجنس البشرى راقداً فى الموت خمسة آلاف السنين ، والموت لا يزال مسلطا من أجل خطية واحدة ، ولا نستطيع القول بأن آدم قد سمع الأنبياء أو رأى الآخرين يعاقبون لأجل خطاياهم حتى يخاف ويصلح طريقـه ، وقد كان فى ذلك الوقت وحيداً

ورغم ذلك عوقب . فما عسى أن يحتج به الخطىء الذى بعد أمثلة كثيرة انتقل إلى حال اردأ ، وبعد موهبة الروح القدس تورط ليس فى خطية واحدة ولكن فى خطايا لا حصر لها .

لايقنع كون الخطية ترتكب فى برهة قصيرة أن تكون العقوبة لمدة قصيرة . أنظر إلى أولئك الذين لأجل سرقة أو زنا أو جريمة ما يرتكبونها فى وقت قصير يعاقبون سنين طويلة ، وقد يقضون كل أيامهم فى السجون والمطابق يقاسون الجوع المتواصل وكل أنواع الأتعاب ، وليس هناك من يستطيع أن يمنحهم الحرية أو يعترض بأن الذنب ارتكب فى مدة وجيزة والعقوبة كذلك ينبغى أن تكون لمدة معادلة لمدة إرتكاب الجريمة .

قد يقول قائل ان هؤلاء بشر الذين يفعلون هكذا ، أما الله فإنه صالح ورحيم نحو جنس البشر . ونقول أن الله كما أنه يحب للبشر فإنه فى نفس الوقت يعاقب الأشرار وكما يقول سيراخ ١٦ : ١٢ ، كما أن مراحمه عظيمة كذلك أيضاً توبيخه . لذلك أيضاً عندما نقول أن الله رحيم نحو جنس البشر ينبغى أن ننظر إلى جانب هذا سبب العقوبة . انها الخطية نحو ذاته تعالى لذلك

يقول بولس الرسول (عب ١٠ : ٣١) ، مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى .

أحتملوا . . .

ما أشد وقع هذه الكلمات لأنه قد يكون هناك بعض التعزيات .

من من البشر يستطيع أن يعاقب كما يعاقب الله ؟ أتى بالطوفان وأهلك به ما لايحصى ، أمطر ناراً من السماء ، وأهلك سدوم وعمورة ، أية عقوبة أشد يستطيع أن يوقعها البشر ؟

إن أكثر من أربعة آلاف السنين قد مضت وعقوبة أهل سدوم قائمة . كما أن رحمته عظيمة كذلك عقابه أيضاً عظيم للأشرار المصرين على خطاياهم .

أيضاً لو كان تعالى وضع أموراً ثقيلة أو مستحيلة لكان لنا أن نحتج من صعوبة القوانين ولكن إذا كانت هذه القوانين ميسورة فما الذى نستطيع أن نقوله إذا أهملنا هذه القوانين .

إن قال إنسان لا أستطيع أن اكتفى بزوجة واحدة فهو يخذل ذاته ويدينه من يعيش فى طهارة بدون امرأة ، من يقول أنه لا يستطيع الإمساك عن استعمال الكلمات البذيئة ... ألا

تكف عن أن تلعن ؟ إن زلل اللسان هو المؤلم وليس الإقلاع عن البذاءة . أي عذر لمن لم يحفظ وصايا سهلة وخفيفة كهذه ؟ لا عذر بالمرة .

ولنتأمل الآن فيما قاله بولس الرسول لأنه بعد ان قال « ان بقى عمل واحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة . ان احترق عمل أحد فسيخسر » وقوله « وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار » .

ما هو الأساس وما هو الذهب وما هي الحجارة الكريمة وما هو العشب وما هو القش ؟

إن الأساس قصد به السيد المسيح « فإنه لا يستطيع أحد أن يضع أساساً آخر غير الذي وضع الذي هو يسوع المسيح » .

أما البناء فيبدو أنه الأعمال ، ولو ان البعض يؤكد أن هذا قيل أيضاً بخصوص المعلمين والتلاميذ ... لكن الحديث كان عن الأعمال لأن الرسول بعد ذلك يركز حديثه عن الرجل الزاني وابتدأ بكثير من التمهيد . إنه حينما يناقش موضوعا وفي أثناء الحديث عن هذا الموضوع له قدرة أن يعد الطرق لموضوع آخر سينتقل إليه ... إنه يبدأ حديثه عن الأساس ثم يضيف « أما

تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله ساكن فيكم ، إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله » ـ قال هذا تمهيداً لإثارة الرجل الزاني وتبصيره بالمخاوف .

إن كان أحد يبني على هذا الأساس « ذهباً ، فضة ، حجارة كريمة ، خشباً ، عشباً ، قشاً » ، لأنه بعد الإيمان تكون الحاجة إلى البنيان ويقول في مكان آخر « وابنوا أحدكم الآخر » لأن الصانع والذي يتعلم يساهمان كلاهما في البناء . ويقول : « فلينظر كل واحد كيف يبني عليه » ١ كو ٣ : ١٠ .

لكن إذا كان الإيمان وحده هو موضوع هذه الأقوال فما هو الذي يؤكده الرسول ؟ لأنه في الإيمان يقبل الجميع لأنه « إيمان واحد » ١ ف ٤ : ٥ ، ولكن في الصلاح لا يمكن أن يكون الجميع سواء . لأن الإيمان نفسه في كل الذين يؤمنون ، ولكن يوجد في الحياة مجالا للبعض أن يكونوا أكثر نشاطاً والبعض الآخر يتكاسل ، فترى البعض مدققين والبعض الآخر عاديين ، الأولون يعملون حسناً ويأتون بأمور عظيمة والبعض الآخر في الأمور الأقل شأناً ، وعلى هذا يقول: « ذهباً ، فضة ، حجارة كريمة ، خشباً ، عشباً ، قشاً » فعمل كل واحد سيصير ظاهراً : هذا هو ما يتكلم عنه هنا : « ان بقي عمل أحد قد بناه عليه فسيأخذ أجرة »

ان احترق عمل أحد فسيخسر » . بينما لو كان القول يتعلق بالتلاميذ والمعلمين ما كان ينبغي أن يخسر من أجل من يرفضون السمع إذ يقول « كل واحد سوف يأخذ أجرة حسب عمله » .

وإليك هذا المعنى : إذا كان لإنسان حياة شريرة مع إيمان مستقيم فإن إيمانه لن يخليه من العقاب فإن عمله يحترق وعبارة « سوف يحترق » تفيد أنه لن يتحمل عنف النار .

بالضبط كما لو كان رجلاً لابساً درعاً ذهبياً وعليه أن يمر عبر نار فإنه يبدو بعد عبوره أشد لمعاناً ولو كان ليمر عبره بالعشب فإنه بدلا من أن ينتفع يهدم نفسه أيضاً . هكذا الحال بخصوص الأعمال ... فمن يعيش في الشر يصبح عارياً من كل دفاع ، حيث يقول « سيخسر » وهذا هو العقاب الأول . « وأما هو فسيخلص ولكن كما بنار » معناه أنه لن يهلك بنفس الطريقة التي تهلك بها أعماله أو يصبح لا شيء ولكنه سوف يبقى في النار .

وان قال قائل كيف يسمى ذلك خلاصاً حينما يقول كما بنار؟ لاينبغي أن نفهم أن الذين يحترقون يتحولون إلى لا شيء لكنهم يخلصون أي يبقون في النار .

أما كيف يدعو عقابا مثل هذا خلاصاً فقد اعتاد أن يستعمل

العبارات الحسنة في الأشياء التي لها وقع سيء والعكس . مثلا كلمة « أسر » قد استعملها في معنى حسن حينما يقول : « مستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح » ٢ كو ١٠ : ٥ . أيضاً أنه أسند إلى شيء شرير كلمة وقعها حسن بقوله « ملكت الخطية » رو ٥ : ٢١ ... وبقوله هنا « سيخلص » ألمع في ابهام عن شدة العقاب ، كما لو كان يقول لكن نفسه سوف تبقى في العقاب إلى الأبد .

ثم عاد يقول « أما تعلمون أنكم هيكل الله » ١ كو ٣ : ١٦ . لقد تحدث قبلا عن الذين كانوا يفرقون الكنيسة وهو الآن يهاجم مذنباً في النجاسة ، لكن بطريقة عامة مشيراً إلى الطريق الفاسدة في الحياة ... انه يتكلم عموماً سواء عن المستقبل أو الماضي ، فمن الأشياء المستقبلة يقول « لأن اليوم سيبينه لأنه بنار يستعلن » ، كما يقول عن الأشياء التي مضت ، « أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ١ كو ٣ : ١٧ - « ان كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله » .

أشمرت بحدة هذه الألفاظ ؟ ومع ذلك فما دام الشخص المقصود غير معروف فالكلام لايثير البعض لأنهم كلهم يقتسمون

خوف الزجر بينهم « سيفسده الله » ... ان هيكل الله مقدس ولكن الذى عمل النجاسة هو دنس .

وحتى لايظهر أنه يهاجمه بقوله « لان هيكل الله مقدس » فهو يضيف « الذى أنتم هو » .

«إنسان فى كرامة ولايفهم يشبه البهائم التى تباد» مز ٤٩ : ٢٠

يعود بولس ويقول « لا يخدعن أحد نفسه » ١كو ٣ : ١٨ وهذا أيضاً إيماء إلى هذا الشخص الذى يظن نفسه شيئاً ويمدح نفسه على الحكمة ، وفى هذا تحذير لجميع السامعين لأنه ماذا لو كان الإنسان غنياً أو شريفاً فهو أحط من الكل إذ استعبدته الخطية ، لأنه كما أن الإنسان لو كان ملكاً مستعبداً للبرابرة يكون أشقى جميع الناس هكذا أيضاً فيما يختص بالخطية فانها تخرب نفوس كل الذين يفعلونها .

الخطية تقلب كل شىء رأساً على عقب وتفسده وتهدمه ، هى قبيحة المنظر ومكدرة ، كامرأة بشعة سوداء فى شكل حيوان متوحش ينفث اللهب .

كيف تصور الحاسدين الجشعين ؟ وما عساه يكون أوقح من تلك العيون وما أكبر شبه هذه النفوس بالكلاب المسعورة ... إنها لا ترى الناس بشراً ، لا ترى السماء .

إعتادت أعين الناس أن تنظر إلى الأشخاص الفقراء فى ألمها فتحنن ولكن عينى الرجل الجشع عندما تقع على الفقير تبرق مثل أعين الحيوانات المتوحشة .

إن أعين الناس الأبرار لا تعتبر خيرات الآخرين ملك لهم ولكن بالحرى تشترك فى خيراتهم الآخرين ولا تشتهى الأشياء المعطاة لهم ولكن بالحرى تنفق على الآخرين من أموالهم ـ لكن الاشرار لا يرتضون إلا أن يأخذوا أموال كل الناس ، لأن عيونهم ليست عيون الإنسان ولكن عيون الحيوان المفترس ، أنهم لا يشبعون إن لم يسلبوا كل واحد ويختزنوا أموال كل الناس فى بيوتهم ، انهم لايكتفون أبداً . اننا نستطيع أن نقول أن أيديهم ليست فقط أيادى حيوانات مفترسة لكنها أيضاً أكثر توحشاً وقساوة من تلك ، لأن الدب والذئاب تترك ما تأكله حينما تشبع ولكن هؤلاء لايعرفون أى شبع .

ان الله جعل لنا الأيادى لنعاون الآخرين لا لنتآمر ضدهم ،

وإذا كنا نستعملها لهذا الغرض الاخير فالأفضل أن تقطع وأن نبق بدونها .

انك تحزن إذا مزق حيوان مفترس خروفا ولكن حينما تفعل المثل نحو واحد من دمك ومن لحمك ذاتك فإنك تفكر أن عملك ليس فيه شيء من الفظاعة ؟ كيف نعتبر ذاك إنسانا ؟ إننا ندعو شيئا إنسانيا إذا كان مليئا بالرحمة والشفقة والمحبة ولكن حينما يصنع أحد أمراً قاسيا أوهمجيا فإننا نلقبه بعديم الإنسانية .

ترى إذن أن علامة الإنسان كما نصفه هي إظهـــار الرحمة وعلامة الحيوان عكس ذلك ... إن أفواه الاشرار هي أفواه حيوانات مفترسة بل أكثر شراً . ان الكلمات التي يتفوهون بها تقذف سماً أكثر من اسنان الحيوانات المفترسة ... وإذا تكلمنا بما هو أشد نرى بوضوح أن عدم الإنسانية تحول الذين يباشرونها من أناس إلى حيوانات .

وإذا فتشنا عقول الاشرار فإننا لن نسميهم حيوانات بل شياطين لأنهم مملوؤن من القساوة والحقد ضد العبد رفيقهم . مت ١٨ : ٢٣ . مملوؤن وقاحة وتبجحاً وازدراء بكل الاشياء المستقبلة ، وتظهر لهم كلمات الله المتعلقة بالعقاب مثل أسطورة

ووعيده ضحكا ، وهكذا تفكير الحاسدين ، فهم من الداخل شياطين ومن الخارج حيوانات مفترسة بل شر من الحيوانات المفترسة . فأين تجد مكاناً لمثل هؤلاء ؟ انهم شر من الحيوانات المفترسة لأن هذه الحيوانات إنما هي كذلك بالطبيعة ولكن هؤلاء الذين جبتهم الطبيعة بالالطاف يجاهدون بعنف ضد الطبيعة حتى يمرنوا ذواتهم على ما هو وحشي .

الشيطان يحارب الإنسان وليس حربه مع الشيطان ، لكن الشرير يسرع بكل طريقه إلى إيذاء أبناء جنسه وعائلته .

إن كثيرين يحقدون علينا بسبب هذه الكلمات لكني بالحرى أشفق وأنوح على الذين لهم مثل هذا الطبع ، حتى لو اختاروا الاعتداء بالضرب لكنت احتملهم بفرح إذا كانوا فقط يتراجعون عن أفكارهم الهمجية هذه ، ولست وحدي بل داود النبي أيضاً معي ينعى كل هؤلاء من الانقلاب إلى الناس بقوله (مز ٤٩ : ٢٠) « **انسان في كرامة ولا يفهم يشبه البهائم التي تباد** » .

لنصر إذن على الأقل أناسا ولننظر إلى فوق إلى السماء نحو الذي خلقنا على صورته حتى ننال البركات المستقبلة .

«لا يخدعن أحد نفسه ... إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما ، لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله» .

بعد ما شرع بولس فى اتهام الزانى الذى أشار اليه فى الوقت المناسب مستهلا قرار الاتهام بكلمة تحرك ضمير الرجل ، طفق يخوض المعركة ضد الحكمة الوثنية موجها اتهامات إلى الذين كانوا ينتفخون بسببها ويقسمون الكنيسة ثم اندفع بعد ذلك بالقمع العنيف ضد ذلك النجس بعد التمهيد السابق الذى ذكره قبلا.

«لا يخدعن أحد نفسه» . ان فى هذا تعبيراً يقصده فهو أولا يريد أن يقمع الرجل بالخوف .

والقول عن «الغش» يناسب جداً التنويه عن ذلك، وكذلك عبارة «أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم» لأن هذين الشيئين جديران بأن ينشلا الساقطين من الخطية حين تتذكر العقاب الموضوع لها ، وحينما نحسب مقدار كرامتنا الحقيقية .

وبتقديمه «العشب والقش» فهو ينذر ، وبكلامه عن كرامة

ميلادهم الشريف فهو يخجلهم .

« لا يخدعن أحد نفسه ، إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا .

انه يأمر الفرد بألا يتشبث بالعالم ، لأن الموت عن غرور العالم لا يضر مطلقا بل بالأحرى يفيد لأنه يصير سببا للحياة ويأمر الرسول ايضا أن يكون المرء جاهلا للعالم وفى هذا يقدم لنا الحكمة الحقيقية ـ «جاهل للعالم من يستهين بحكمته الباطلة» .

فكما أن الفقر الذى يكون حسب الله يصير سببا للغنى ، والاتضاع يصبح سبباً للرفعة واحتقار المجد يؤول إلى المجد ، هكذا فإنه أن يصبح المرء جاهلا لحكمة العالم يجعله أحكم كل الناس لأن كل شىء فيه يعمل بتدبير الله .

وكما أن الصليب الذى كان يعتبر عاراً أصبح مصدر بركات لا تحصى وأساس مجد لا ينطق به ، هكذا أيضاً ما حسبه الناس جهالة قد أصبح سبب الحكمة ، مثل ذلك مثل من تعلم شيئاً خطأ فانه عليه أن يلقى بكل ما تعلمه جانبا ويجعل نفسه صافية وهكذا يقدمها إلى من سوف يعلمه ... هكذا أيضاً فيما يختص بالحكمة

« لا يخدعن أحد نفسه ... إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا لكى يصير حكيما ، لان حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله » .

بعد ما شرع بولس فى اتهام الزانى الذى أشار اليه فى الوقت المناسب مستهلا قرار الاتهام بكلمة تحرك ضمير الرجل ، طفق يخوض المعركة ضد الحكمة الوثنية موجها اتهامات إلى الذين كانوا ينتفخون بسببها ويقسمون الكنيسة ثم اندفع بعد ذلك بالقمع العنيف ضد ذلك النجس بعد التمهيد السابق الذى ذكره قبلا .

« لايخدعن أحد نفسه » . ان فى هذا تعبيراً يقصده فهو أولا يريد أن يقمع الرجل بالخوف .

والقول عن « الغش » يناسب جداً التنويه عن ذلك، وكذلك عبارة « أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم » لان هذين الشيئين جديران بأن ينشلا الساقطين من الخطية حين تتذكر العقاب الموضوع لها ، وحينما نحسب مقدار كرامتنا الحقيقية .

وبتقديمه « العشب والقش » فهو ينذر ، وبكلامه عن كرامة

ميلادهم الشريف فهو يخجلهم .

« لا يخدعن أحد نفسه ، إن كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر فليصر جاهلا » .

انه يأمر الفرد بألا يتشبث بالعالم ، لان الموت عن غرور العالم لا يضر مطلقا بل بالأحرى يفيد لانه يصير سببا للحياة ويأمر الرسول ايضا أن يكون المرء جاهلا للعالم وفى هذا يقدم لنا الحكمة الحقيقية ـ « جاهل للعالم من يستهين بحكمته الباطلة » .

فكما أن الفقر الذى يكون حسب الله يصـــير سببا للغنى ، والاتضاع يصبح سبباً للرفعة واحتقار المجد يؤول إلى المجد ، هكذا فانه أن يصبح المرء جاهلا لحكمة العالم يجعله أحكم كل الناس لان كل شيء فيه يعمل بتدبير الله .

وكما أن الصليب الذى كان يعتبر عاراً أصبح مصدر بركات لا تحصى وأساس مجد لاينطق به ، هكذا أيضاً ما حسبه الناس جهالة قد أصبح سبب الحكمة ، مثل ذلك مثل من تعلم شيئاً خطأ فانه عليه أن يلقى بكل ما تعلمه جانبا ويجعل نفسه صافية وهكذا يقدمها إلى من سوف يعلمه ... هكذا أيضاً فيما يختص بالحكمة

(١ كو ٤ : ٢١) ، ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أمينا - أى لاينسب لنفسه خيرات سيده ، ولا يطلب لنفسه كأنه سيد ولكن كوكيل. لأن دور الوكيل هو أن يدير جيدا الاشياء التى اؤتمن عليها - لا أن يقول أن أشياء سيده هى له، على العكس ان أشياءه هى لسيده ، فليفتكرن كل أحد فى هذه الامور ، سواء من يملك قدرة الكلام أو من ينعم بالغنى ، ولاسيما من اؤتمن على خيرات السيد وهى ليست له ، فلا يحفظها معه ولا يجعلها لحسابه الخاص ولكن فلينسبها إلى الله الذى أعطى الكل .

أتريد أن ترى وكلاء أمناء ؟ اسمع مايقوله بطرس: « ما بالكم تتعجبون من هذا ولماذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى » اع ٣ : ١٢ ، ويقول لكرنيليوس « نحن أيضاً بشر تحت الآلام مثلكم » .

والقديس بولس قال : « أنا تعبت أكثر من جميعهم » ١ كو ١٥ : ١٠ « ولكن لا أنا بل نعمة الله التى معى » .

وأيضاً يقول وأى شىء لك لم تأخذه ؟ ١ كو ٤ : ٧ ، لأنه ليس لك شىء من ذاتك ،لا مال لك ولا رأى ولا الحياة نفسها فهذه جميعها بلا ريب ملك السيد . لذلك حينما تدعو الضرورة

أتركها أيضاً ، وان تمسكت بالحياة ورفضت الأمر بتركها فأنت لست وكيلا أمينا بعد .

وكيف يمكن المقاومة حين يدعو الله ؟ هذا بالضبط ما أبينه . إنى أتعجب من محبة الله للبشر، فإن الأشياء التى يستطيع أن يأخذها منك قسراً ، لا يريد منك أن تدفعها كارها فهو تعالى يستطيع أن ينزع فخرك بدون موافقتك فتخفض جناحك ولكنه يريد ذلك منك راغباً ، حتى تكون لك مكافأة .

أنه تعالى يستطيع أن يجعلك فقيراً ولو لم ترد ، ولكنه يريد منك ألا تتكل على غناك برغبتك ، حتى يفسح لك الإكليل .

أرأيت مقدار رحمة الله بالإنسان ، أرأيت قصورنا عن فهمها ؟ ، ان وصلت إلى كرامة عظيمة وحصلت فى أى وقت على وظيفة أو درجة كبيرة فى الكنيسة فإياك أن تزهو أو تنتفخ فإنك لم تكتسب المجد ولكن الله قد شرفك به وإياك أن تسىء استعماله أو تستعمله فى أشياء غير لائقة، أو تنسب ذلك لنفسك بل أحسب ذاتك فقيراً ، فإنه لايليق بك أبداً حتى ولو كنت قد اؤتمنت على برفير الملك لتحفظه أن تسىء استعماله وتفسده ولكن بأكثر تدقيق عليك أن تحفظه لمن أعطاه .

أأعطيت قوة البيان ؟ لا تنتفخ ، ولا تكن متغطرسا لأن الهبة مجانية وليست بقدرتك ، لا تكن حسوداً من أجل خيرات سيدك ، ولكن وزعها على العبيد رفقائك ، ولا تكن متعالياً بهذه الأشياء كأنها ملك لك ولا تكن شحيحاً فى توزيعها .

إن كان لك بنون فهم لله . إذا افتكرت هكذا فستكون شاكراً لكونهم معك وإن حرمت منهم فلن يكون ذلك صعباً عليك ، هكذا كان أيوب حينما قال : « الرب أعطى والرب أخذه أى ١ : ٢١ ، لأننا نأخذ كل شىء من المسيح ، الوجود نفسه نأخذه منه ، الحياة والتنفس والنور والنسمة ... وإذ كان يرى أن يحرمنا من أى أمر منها فنحن بجملتنا زائلون وغرباء ونزلاء » ١ بط ٢ : ١١ .

« لى » و « لك » ليست إلا مجرد كلمات ولا تعنى شيئاً .

إنك إن قلت مثلا البيت بيتى فهذه العبارة تشط عن الحقيقة فالهواء والأرض والمواد جميعاً هى للخالق ، بل أنت أيضا الذى بنيت ، وكذلك كل الأشياء الأخرى . ولكن إن كان لك الاستعمال ، وحتى هذا ليس بحساب الموت وحده ولكن أيضاً بغيره لعدم استقرار الأحوال . فيجب عليك إذن أن تحيا حياة

جادة مصوراً لنفسك هذه الأمور باستمرار ، يجب علينا أن نكون شاكرين حينما يكون لنا ، وغير مستعبدين للأشياء الزائلة التى ليست لنا .

وسواء أكان قد أخذ الغنى أو المجد والفخر ، الجسد أو الحياة ذاتها فإنه لم يأخذ سوى ماله ، ولو أخذ ابنك فإنه ليس ابنك فقط ولكنه عبده تعالى ، فأنت خادم لظهوره والكل عمل الله . لذلك فلنشكر الله لأنه جعلنا مستحقين أن نكون خدامه .

أنتم لستم لأنفسكم

... إن لم نكن نحن لأنفسنا فكيف يكونون هم لنا ؟ إننا له تعالى من وجهتين ، فهو قد خلقنا وأيضاً من الإيمان . لذلك يقول داود « رجائى فيك هو » مز ٣٩ : ٧ ، وأيضاً بولس يقول « لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد » أع ١٧ : ٢٨ ، ويقول مؤكداً البرهان عن الإيمان : « أنتم لستم لأنفسكم ، لأنكم قد اشتريتم بثمن » ١ كو ٦ : ١٩ ، ٢٠ - لأن كل الأشياء هى لله .

لحينما ينادى ويختار أن يأخذ فلا نهرب من الحساب مثل العبيد الحاقدين ، ولا نختلس أموال سيدنا ... نفسك ليست

لك ، فكيف يكون غناك لك ؟ كيف إذن تتصرف فى الاشياء التى ليست لك ؟

وبما أننا رأينا أنها ليست لنا ولكن لسيدنا فيجب أن نصرفها على العبيد رفقائنا . ويجدر بنا أن نتأمل أن هذا كان الاتهام ضد الغنى وأيضاً ضد الذين لم يعطوا طعاما للسيد لو ١٦ : ٢١ ومت ٢٥ : ٤٢ .

لا تقل إذن : « أنا لا أصرف سوى مالى ، وبمالى أعيش فى رفاهية » إنه ليس لك ولكنه للآخرين ، لأن إرادة الله هى أن الاشياء التى تؤتمن عليها لأجل إخوانك هى الاشياء التى لك والاشياء التى ليست لك ملكا تصبح لك إن انت صرفتها على الآخرين ، ولكن إن صرفت على نفسك بإسراف لا تصبح بعد ملكا لك ، وإن تستعملها بتبذخ فهى ليست ملكا لك لأنها مشتركة لك وللعبيد رفقائك .

بالضبط كما أن الشمس مشتركة وكذا الهواء والارض مشتركان ، هكذا جميع هذه الاشياء . وكذا الحال بالنسبة للجسد كل عمل يؤول للجسد كله ولكل عضو من الاعضاء ، ولكن إن كان لعضو واحد فقط فهو يهدم الوظيفة الخاصة به ، وهذا يصدق

أيضا بالنسبة للمال .

وبعبارة أوضح فإن طعام الجسد الذى يعطى للأعضاء المشتركة لو وجب أن يسرى إلى عضو واحد لأصبح غريباً له فى النهاية إذ لا يمكن هضمه ، ولكن إن كان مشتركا فيكون له ولسائر الأجزاء . وهكذا الغنى ، إذا كنت تتمتع به وحدك فقد خسرته ولن تحصد جزاءه ولكن إن ملكته بالاشتراك مع الباقين حصدت فائدته .

ألا ترى أن اليدين تعطيان والفم يلين والمعدة تأخذه لا لتحتفظ به بل لتوزعه لأن اختزانه ضار بكل الجسم .

انها لرذيلة كبرى فى الأغنياء أن يحتفظوا لأنفسهم بمالهم ، وأن ذلك يهدمهم ويهدم الآخرين أيضاً .

العين تأخذ كل النور ولكنها لا تحتفظ به بل لتنير الجسد كله لأنه ليس لها أن تحتفظ به لنفسها ، وفتحات الأنف حساسة للرائحة ولكنها لا تحتفظ بها لنفسها ، ولكنها تنقل إلى المخ وتنعش الإنسان كله ، والارجل وحدها لا تستطيع السير ، انها لا تحرك نفسها ولكن تنقل الجسد كله . وبنفس الطريقة

ما اؤتمنت عليه فلا تحتفظ به لشخصك وحدك لئلا يضار الكل وتضر نفسك أكثر من الكل .

وأيضاً الحداد إذا اختار ألا يشاركه أحد فى صنعته فإنه يخرب نفسه ويؤثر فى الصناعات الاخرى ، وكذا الإسكاف والمزارع والخباز وكل صاحب مهنة إذا اختار أحدهم ألا يشرك أحداً فى نتائج مهنته فإنه لا يخرب الآخرين فقط ولكن يخرب نفسه معهم .

الفقراء أيضاً إذا اتبعوا شر الأغنياء يصابون إصابة كبرى إذا تخلى الفلاح عن الارض وتخلى العامل عن عمل يديه وتخلى البحار والجندى والتاجر... كل عن واجبه.ماذا تكون النتيجة ؟

فى كل شىء العطاء والاخذ . إن رغب أحد فى الاحتفاظ بغنه لنفسه فإنه يسىء إلى نفسه ، إذا دفن الزارع البذار واحتفظ بها فى بيته وتبعه فى ذلك الباقون فإن ذلك يجلب مجاعة محزنة ، والمعلم يفيد بعلمه كل طالب مهما كان عـــدد الطلاب . فليكن ما تملكه لتخلص الآخرين من الفقر ومن المخاطر ، ومن المرض. من كان غريباً تأويه ومن كان عرياناً تكسوه .

إن صرف الثروة الطائلة والكنوز الكثيرة على رفقائنـــا تجلب إعجاب الناس أكثر من ارتداء الملابس المذهبـــة واقتناء الجياد والعبيد ، وأعظم من هذا رضاء الله وأن يكون معك فى كل خطواتك .

إن هذه النعم على الارض تجعل المرء سعيداً لكن حينما تكتب أعمالك فى السماء ويعلنها الله فى اليوم الأخير فسوف يكون لنا النعيم الأبدى .

عدم دينونة الآخرين

« وأما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فى منكم أو من قوم بشر ، بل لست أحكم فى نفسى أيضاً ، فإنى لست أشعر بشىء من ذاتى ، لكنى لست بذلك مبرراً ولكن الذى يحكم فى هو الرب ».

مع كل الشرور الاخرى لا أعرف كيف جاء على طبيعة الإنسان هذا المرض ، مرض فحص أمور الغير والفضول ، ذلك المرض الذى نهى عنه السيد المسيح نفسه بقوله : « لا تدينوا لكى لا تدانوا » مت ٧ : ١ .

إنه نوع من الخطايا ليس له إغراء الخطايا الاخرى ولكن

له عقاب ونقمة ... لا نرى الخشب فى أعيننا ونبدأ محققين فى أعمال جيراننا وإن لم تكن عيوبهم أكبر من القذى ، كان هذا يحدث فى كورنثوس ، فرجال الدين وهم الأعزاء عند الله كان الناس يسخرون منهم ويطردونهم لعـــدم غزارة علمهم ، بينما الآخرون المملوؤن من شرور لا تحصى كانوا فى مراكز عالية بسبب طلاقة لسانهم ويجلسون فى المجامع للمحاكمات... فلم ينظروا إلى طرقهم الرديئة وكانوا قضاة على الآخرين . كيف يصلحهم بولس بحكمة ؟ إنه طارد المرض حيث سبق فقال : « ثم يسأل فى الوكلاء لكى يوجد الإنسان أمينا » ١ كو ٤ : ٢ .

« وأما أنا فأقل شىء عندى أن يحكم فى منكم أو من قوم بشر » وأيضاً « انى أحسب نفسى غير مستحق أن يحكم فى منكم » .

وتظهر وداعته فى قوله : « وآخر الكل كأنه للسقط ظهر لى أنا » ١ كو ١٥ : ٨ ، وكان يرفع روح التلاميذ ، لا يعلم فى كبرياء بل يلقن فى شجاعة فيقول : « فإن كان العالم يدان بكم أفأنتم غير مستأهلين للمحاكم الصغرى » ؟ ١ كو ٦ : ٢ - لأنه كما أن المسيحى يجب أن يكون بعيداً عن الكبرياء ، عليه أن يتجنب التملق والخسة ... فإذا كان الابن يهمـــل ما يليق بكرامة أبيه

ويسلك فى الطرق الذليلة لا نمدحه كمتواضع القلب بل نوبخه كوضيع ذليل .

إن بولس يقول : « لست بذلك مبرراً » ، فكان لا يشعر بشىء فى ذاته ، أما نحن الذين امتلأت ضمائرنا بآلاف الجراح ولا نعرف فى أنفسنا شيئاً صالحاً فماذا عسى أن نقول ؟

يقول: « لأنى إذا كنت لا أعرف شيئاً بوضوح فى خطاياى أنا كيف يمكننى أن استحق أن أحكم على الآخرين ؟ وكيف استطيع أنا الذى لا أعرف حالتى بالضبط أن أحكم فى أمور الآخـــرين .

فإذا كان بولس يشعر هكذا فنحن بهذا الشعور أولى ، لأنه تكلم بهذه الأشياء - ليس لكى يظهر نفسه بلا خطأ ولكن ليظهر لهم أنه حتى لو وجد بينهم إنسان بلا خطأ لحتى هذا الإنســان لا يستحق أن يدين حياة الآخرين ، فإذا كان وهو لم ينحرف فى ذاته إلى شىء لا ينبغى أن يدين فكم بالأكثر أولئك .

ينتقل بولس بعد كل ذلك كزوبعة آتية أمامها بعض السحب المفعمة بالظلام ، فعند قصف الرعود وتحول السماء كلها إلى سحابة

واحدة سوداء ينفجر المطر دفعة واحدة على الارض ، وبكلمات مخيفة أو لا يقمع كبرياء الرجـــل المخطىء ، وانتفاخه . فخطيئة مضاعفة : الزنا ، وما هو شر منه عــدم حزنه على الخطيئة أو اكتراثه لها . والرسول لاينوح على فداحة الخطية بقدر ما ينوح على مرتكبها الذى لم يتب بعد .

« وأنوح على كثيرين من الذين أخطأوا من قبل ولم يتوبوا عن النجاسة والزنا والعهارة التى فعلوها » ٢ كو ١٢ : ٢١ ، لأن الذى تاب بعد ما اخطأ لا يستوجب الحزن عليه لأنه انتقل إلى صفوف القديسين . « ذكرنى فتحاكم معا حدث لكى تتبرر » ، ولكن إذا كان لا يستحى بعد أن يخطىء فلا يؤسف لسقوطه بقدر ما يؤسف لموقفه إذ يرقد حيث سقط .

فإذا كانت حالة عـدم الندامة على الخطايا حالة محزنة فأى عقاب يستحق من يفتخر بالخطايا ؟ ، وإذا كان الغرور بالأعمال الحسنة غير طاهر فأية مغفرة تكون لمن له هذا الغرور بالنسبة لخطـــاياه .

كان ذلك الرجل غير مذعن ولذا بدأ بولس يضع كبرياءه .

إن فى كلمات بولس نفسها « فإنى لست أشعر بشىء فى ذاتى، لكنى لست بذلك مبرراً ... ولكن الذى يحكم فى هو الرب ... الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب » ، تلميحا عنه وعن الذين يتصرفون مثله مزدرين بالقديسين .

ان كان البعض يظهرون من الخارج كأناس فضلاء وجديرين بالإعجاب ، فإن الديان لا يميز الظاهرات فقط ولكنه أيضاً يجلب إلى النور كل الخفايا .

الحكم الصحيح ليس لنا ، وان كنا لا نشعر بشىء فى ذواتنا إلا أننا نحتاج إلى من يبكت خطايانا بصرامة ، لأن الجزء الأكبر من الأفعال خفى لا ندركه . وإن كثيراً من الأفعال التى يفعلها الآخرون وقد تظهر لنا حسنة لا تصدر عن نية صحيحة .

تقول ألم يفعل هذا الإنسان الخطية ؟ أليس هذا الفرد أفضل منه ؟ إلى غير ذلك مما لا نستطيع أن نقرره . إنه تعالى الفاحص أسرار الناس وهو الذى يحكم .

« لا أشعر بشىء فى ذاتى ولكنى لست بذلك مبرراً » ، أى لست بريئاً من حساب أقدمه ولا من اتهامات أحاسب عليها .

وروب أشياء كثيرة نفعلها وهى حسنة حقاً ولكننا لا نفعلها عن نية صحيحة ، فقد نمدح كثيرين لكن ليس رغبة فى إكرامهم ولكن لكى نعرض بآخرين . فالأمر الذى عملناه صواب شكلا ، فالصالح مدحناه ولكن بنية سيئة فكان المدح لقصد خاطىء .

وإذا أرتكب إنسان خطأ كبيراً قلنا لم يفعل شيئاً فنشجعه على التمادى فى الأخطاء الكبيرة ونعللها بضعف الطبيعة البشرية العام ليس عطفاً عليه بل لتهون عليه المضى فى أخطائه .

وهناك من يوبخ غيره كثيراً متظاهراً بالنصح وهو لا يقصده بل غايته أن يشهر بجاره علانية ويبالغ فى كشف خطئه .

إن أفكار القلوب لا يعـــرفها الناس بل فاحص القلوب رو ٨ : ٢٧ ، وسوف يظهر كل هذه الأشياء فى ذلك الوقت ، لذلك يقول : « الذى سينير خفايا الظلام ويظهر آراء القلوب » .

وما أكثر ما ينخدع الناس فى أحكامهم . ولو استطعنا أن نخدع الناس فلن تفوت عليه تعالى خداعنا أبداً . فلا تقل الظلام والأسوار حولى ، من يرانى ؟ فهو تعالى بنفسه صنع قلوبنـــا ويعرف كل شىء : « الظلمة أيضاً لا تظلم لديك » مز ١٣٩ : ١٢ .

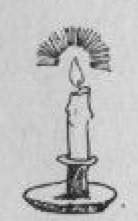
من يفعل الخطية يرى الظلام حوله ، ولو لم تكن الظلمة طمست عقله لما زوى عنه خوف الله وتصرف كيفما تراءى له مطمئناً إلى أن أحداً لا يراه ، لكن لو كان خوف الله أمامه لما سقط .

صرخ يوسف فى القديم وقال : « كيف اصنع هذا الشر العظيم واخطىء إلى الله » فليكن لك قدوة واهرب لحياتك . . . .

+ + +

صلاة (١)

نعم نسأل أيها الآب القدوس الصالح محب الصلاح لا تدخلنا في تجربة ولا يتسلط علينا كل إثم . لكن نجنا من الأعمال غير النافعة وأفكارها وحركاتها ومناظرها ومجساتها ، والمجرب ابطله واطرده عنا ، انتهر أيضاً حركاته المغروسة فينا واقطع عنا الأسباب التي تسوقنا إلى الخطية . ونجنا بقوتك المقدسة بالمسيح يسوع ربنا . هذا الذي من قبله المجد والكرامة والعز والسجود تليق بك معه مع الروح القدس المحيي المساوي لك ، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور كلها آمين .



(١) عن الخولاجي المقدس بعد صلاة القسمة يقولها الكاهن سراً .

ظهرت حديثا :

عظات وسيرة القديس العظيم أنبا يحنس

قمص برية شيهيت

عن أقدم المخطوطات بدير البرموس . وهو آخر القامصة الكبار في القرن السابع وهو بخلاف أنبا يحنس القصير وأنبا يحنس كاما

† † †

تحت الطبع :

سبع الرتب الكنسية للشماسية